دراسة تحليله لسانية في قصيدة
" سجل أنا عربي " لمحمود درويش

د: سهـــام داودي
جامعة الشاذلي بن جديد -الطارف-

يتفتح باب الكتابة الأدبية لقراءات و تأويلات عدة ،و ذلك " لا حتوائه على بنى دلالية ونصية و ثقافية و اجتماعية جاعلة من التأويل حوارا نهائيا بين النص و مؤوله لأن التأويلات متجددة طالما استمر الزمن بالمضي "[1]

ضف الي ذلك تعدد المناهج النقدية الحديثة و طرق أساليبها في محاورة النصوص و استكناه لبها ووقع اختيارنا في هذه المداخلة على النص الشعري الذي يفوح بجمالية تجمع بين الأبعاد الدلالية و الشعرية و التركيبة .....إلخ و هذا ما نلمسه في قصيدة " سجل انا عربي" ، وهي من أشهر قصائد الشاعر "محمود درويش ،و ذلك لها تحمله من دلالات فياضة و مضمنة نستشفها من خلال السياقات و القراءة الضمنية ،كذلك لما تحمله من معاني إنسانية عميقة في تأصيل للقضية الفلسطينية و سلب الفلسطيني أرضه غصبا و تعسفا و ما تديره في نفسية الفلسطيني الخاصة و العربي عامة خاصة و اي عنوانها : تضمن لفظة " العربي " .

كما نلمس أيضا مصداقية في القول لأن الشاعر ينتمي إلي هذه الأرض المحتلة فممارسة الكتابة هي ممارسات فعلية واقعية ينقلها الثامن ارض الحدث .

فهي تعتنق الصدق و ببساطة اللفظة و التجربة الشعرية واضحة المعالم فهي قصيدة متجددة قابلة لقراءات عدة و تصلح أن تدرس بمناهج نقدية عدة خاصة المنهج اليهايئي .

والقراءات التأويلية التي تفتح مغاليق النصوص و مواضع الغموض فيتحقق التواصل الحقيقي هو تفاعل وعي القاري ببنية النص ،و هكذا ما دعى إليه " ياوس " "باعتبار النص بنية تقديرية فهو يحتاج إلى ديناميكية لاحقة تنقله من حالة الكمون إلى حالة التحقق ، بمعنى أنه لا يجوز القول بوجود المعنى الجاهز أو النهائي في النص و إنما معناه المرتقى ناتج من قبل القراءة و فعاليتها التي هي عبارة عما يولد بين النص و قارئه ، و بين البنية الأصلية و بين خبرات القارئ أو أفق انتظاره ، و بذلك يكون " ياوس " ، قد عمل على نقل الاهتمام من ثنائية الكاتب والنص إلي جدلية النص –القاري "[2]

فمحمود درويش شاعر الثورة الفلسطينية ،كل حروفه مخلدة في الذاكرة العربية ، أشعاره إبداع تصنع الحقيقة ، تنقل المآسي و المآثر و الأفراح و الآلام لشعب أراد الحرية ، للنفوذ عانت الأمرّين جرّاء المسند المحتل اليهودي ، هي اشعار تتنفس المنجاة و تعتنق عبق التحرر و تناشد قلوب العرب و توخز الضمير الإنساني ليستفيق من غيبوبته

نعم هو شاعر راحل ، لكنه باق في ذاكرتنا ، دواوينه الشعرية صنعت تاريخ فلسطين ، و هذه زهرة من حديقة أشعاره معنونة بـ " سجّل أنا عربي " فالقصيدة التي تنتمي إي شعر التفعيلة (الشعر الحر) جاءت لإثبات الهوية ، والانتماء للعروبة ، فهي علامة من العلامات التي توحي بالمضمون الحقيقي الذي تتناوله القصيدة، ألا و هو الاعتزاز بالعروبة و لكي تتضح الصورة لابد أن نقف عند التحليل اللساني ، باعتباره البوابة الرئيسة (حسب المناهج النقدية المعاصرة) للولوج إلي أغوار النصوص ،كما سنحاول من خلال هذا التحليل كشف المعاني الدلالية التقريرية للقصيدة و ما تحمله من معان إيجابية مضمنة في طياتها مصورة واقعا عربيا بوجه عام وواقعيا فبسطيينا بوجه خاص فالتحليل ا للساني له القدرة علي محاورة الخطابات الشعرية و الوقوف عند خصائصها من خلال إبراز الآليات اللسانية .

1 ـ المستوي الصوتي :

إن مادة اللغة هي الصوت ، فمن خلاله نستطيع أن ندرك الحالة النفسية و الشاعرية للكاتب ،و ذلك بحسب صفات الأصوات ،فكل نص يحوي مجموعة من الأصوات تتفاوت بين المجهور ،والمهموس و الشدة و الرخاوة ، فالصوت له دلالة ،وهذا ما أكده عمر محمّد طالب يقول " تخضع دراسة الأصوات في الخطاب الشعري لعناصر الذوق ، لأنها لم تصل بعد إلي درجة الدقة و

الضبط العلمين ، لكن تكرار أصوات معينة أكثر من غيرها في البيت أو المقطوعة أو في القصيدة يعطي دلالة معينة " 3 و سنحاول رصد هذه الأصوات ووصفها في المجموعات ثم قراءتها قراءة تحليله بربطها بالأبعاد الدلالية للقصيدة .

أ–الأصوات المهموسة :

إن للصوت المهموس دورا فعالا في نقل أحاسيس الشاعر ،وفي جعل المتلقي ينجذب ،" فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان و لا يسمع لهما رنين حين النطق به :" 4 و هي :"ت ،ث ، ح ، خ ،س ،ش، ص ، ط ،ق ،ك ،ه "

أما وروده في القصيدة فهو كتالي

ت	ث	ح	خ	س	ش	ص	ط	ف	ق	ك	ه
30 مرة	03 مرات	16 مرة	07 مرات	29 مرة	07 مرات	14 مرة	05 مرات	21 مرة	18 مرة	19 مرة	09 مرات

أما الأصوات المجهورة " هي التي يهتز معها الوتران الصوتيان عند خروجها و هي " ب ، ج ،د ، ذ ، ر ،ز ،ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، م ، ن " 5 و تواترها في القصيدة كالتالي (بالتقريب)

ر	ز	ض	ع	غ	ل	م	ن
36 مرة	مرة واحدة في زيوت	6 و ارتبطت بالغضب	24 مرة	07 مرات	73 مرة	33 مرة	26 مرة

و بعد الإحصاء يتبين لنا أن الأصوات المهموسة وردت ما يقارب 178 و الأصوات المهجورة ما يقارب 206 ،وهذا يدل على التأسف و الوضع الحقيقي للعربي ،فتنساب هذه الأصوات المهموسة و تدل الحالة النفسية المتوترة للمؤلف ،وهي نقاط القوة و الغضب و السخط على العدو وتأتي الأصوات المجهورة التي تنم على الثقة في النفوس ،و تخويف العدو ،و ترهيبه في عدة مواضع و سنوضح ذلك –في بعض الأبيات الشعرية الواردة في القصيدة :

نلاحظ : ورود صوت السين بصفة متكررة و لافتة للانتباه مثال ذلك : سجل – خمسون – تاسعهم – سيأتي – اسم سلبت – أسماء – منسية – رأسي – رست حسب – تسب ...الخ

يضفي هذا الصوت سمة موسيقية و جرسا رنانا في أذن السامع و هي دلالات مرتبطة بالخوف و التردد و الضعف فللصوت قيمة تعبيرية وظيفية ،أخذا بعين الاعتبار الدلالات التي تنبثق منه و ما يتماشى مع المعطى العام للقصيدة فلكل صوت طاقة و إيحاء و مدلول ، كما أن هذا الصوت (السين) نلاحظ أنه كلما تغيرت حركته تغيرت معها دلالاته مثال ذلك :

في لفظة : سجل هنا دل على الثبات و القوة و التحدي فحين في لفظة منسية جاءت الدلالة مضمنة بالأسى و الاندثار و قهر الحق .

أما في الأصوات المجهورة فنجد أن صوت اللام أخذ حصة الأسد بالنسبة للأصوات المجهورة الأخرى ،و طالما يشير إلى الرفض و عدم الاحتلال ، رفض للمحتل الظالم ، رفض للأوضاع التي تعيشها فلسطين ، رفض للقهر والقتل و الغضب ،ولهذا نجد " لا " (خاصة) متواترة في النص الشعري بجانب " الـ" التعريف التي اقترنت بألفاظ كبيرة مثال ذلك : الخبر ، الصدقات ، لا ، بلا ، الكتب ، الشمس ، الزيتون ، فلان ، العشب ، المحراث ، لحم ، الناس .....الخ ، فأحيانا نجد اللام القمرية و أحيانا أخرى نجد " الـ " الشمسية .

أما صوت " الراء " فتواتر بنسبة كبيرة في القصيدة و من أمثلة ذلك نكر : غربي ، شوارعها ، كروم ، أرضا ، الصخر ، الشعر ، ناطور ، اصغر طالما ،و دل صوت الراء على الانكسار والقهر ،كما تتفاوت دلالته في هذه المقاطع ، فتارة يدل على السلب و الجر و تارة أخرى يدل على الوصف و تارة أخرى يدل على القوة .

وقد اعتمد الشاعر علي صوت " الميم " ، و جاء هذا الأخير مكررا بشكل مكثف و مثال ذلك : ميلاد ، يعلمني ، الزمان ، أمام ، من ، الشمس ، المحراث ، مع ، محجر ، الكمي ، جميع ، منسية ....الخ

فالميم صوت مجهور ، يساعد في إيصال مكبوتات الشاعر إلي السامع (الملتقي) فنلمس تناسق و انسجام ملحوظ في تواتر الأصوات المهموسة و المجهورة شكلت لنا فسيفساء تجمع بين وصف حالة الإنسان العربي و بين الظلم و قهر المحتل و بين التصدي و مجابهته و الناهضة للحرية و التحرر.

ونجد صوت التاء و هو من الأصوات المهموسة ،وجاء توظيفه بصورة مكثفة و موزعة عبر النص الشعري و من بين الكلمات المتضمنة نذكر كنت ، تغصب ، تراضيك ، تفتح ، بيتي ، الكتب ، أعتابك ، الدفتر ،بطاقتي ....إلخ ، فدلالة الصوت (التاء) تتغير في مواضع الألفاظ فمثلا : في لفظة " تغضب " دالة على القوة و الشدة و في لفظة " الدفتر ، بطاقتي تدل على الهدوء و الروية و السكينة ، فالتوظيف يأتي حسب السياق و نفسية الشاعر .

ونخلص إلى أن توظيف الأصوات (بين الجهر و الهمس) توظيفها ليس عشوائيا بل يتماشى مع الحالة الشعورية للمؤلف و جاءت القصيدة بين مد و جزر ، بين نزول و صعود بين قوة و ضعف ، بين التحدي و الغضب وقد ساعدت هذه الأصوات في تعزيز المضمون العام للقصيدة و التأثير في وعي الملتقى و استنباط البنى الدلالية و استكناه مواضع الشعرية .

2- **المستوى الصرفي** :

لقد طغى على القصيدة جمل الصرفية تجمع بين الأفعال و الأسماء و الأدوات و مثال ذلك نذكر العنوان جاء على شكل جملة اسمية تصدرها :ضمير متكلم (أنا) و اسم (عربي) كما نلمس طغيان الأسماء على الأفعال ،و دون أن ننسى أن العنوان :تضمن فعل أمر :"سجل " و الجدول الآتي يوضح ذلك

الأسماء	الأفعال	الأدوات	الضمائر
عربي	سجل (فعل أمر) -مخاطبة الأخر-	و	أنا
بطاقتي	تغضب فعل أمر	هل	/
الدفتر	أعمل (فعل مضارع)	ف	/
الصدقات	اسل (أسأل)	مع	/
اسم	أتوسل فعل مضارع	من	/
غورة	/	في	/
الغضب	/	/	/
الزيتون	/	/	/

صبورة فعول	كان (فعل ماض ناقص) يعلمني (فعل مضارع) ترضي (فعل مضارع)	على
الشعر		ب
/	سُلبت (فعل مبني للمجهول) لم تترك (فعل مضارع مجزوم) ب" لم "	لا
/	جعلت (فعل ماض) آكل (فعل مضارع)	/
/	أكون (فعل مضارع)	/

لقد شكلت الأفعال المضارعة مجموعة من الأفعال الماضية كما وردت الأفعال مقترفة بالنهي و النفي لا أكره – لا أسطو –و الملاحظ أن توظيف الأفعال الماضية مرتبط بالأحداث التاريخية للبلاد (فلسطين) كسلب الأرض و الأفعال المضارعة ارتبطت بالواقع الحاضر المتأزم للواقع الفلسطيني ، كما اقترن أيضا بوصف الحالة و الأوضاع التي يمر بها الإنسان العربي .

فالشاعر وظف الأفعال بنسبة ضئيلة مقارنة مع الأسماء و توظيفها أخذ دلالات متعددة ،و جاءت على أوزان مختلفة ، فعل ،يفعلُ ،فعلتْ ...الخ ،ولا نجد الأفعال الخماسية و السداسية وأوزان أخرى و ذلك لقلة الأفعال الواردة في حد ذاتها فلم يلجأ الشاعر لتوظيفها و ذلك إن دل على شيء هو أن الجملة الاسمية تدل على الثبات و السكون في حين الجملة الفعلية تدل على الحركة و الاستمرارية ،و لهذا لجأ لتوظيف الجمل الاسمية على حساب التراكيب الجملية و سنوضح ذلك في المستوى النحوي .

3- المستوى التركيبي :

كما سبق الذكر ، طغى على النص الشعري ، توظيف الجمل الاسمية على حساب الجمل الفعلية التي تضمنت زمن المضارع الذي يدل على دوام و استمرار الوضعية و تأزمه في البلاد كما نتقظى بعض المعطيات التي لها جذور متصلة بالماضي القريب و البعيد ،" ففي جل مراحل القصيدة فزمن الأفعال يحيلنا إلى أن الشاعر سمع بهذه الأحداث التي وصفها و تكلم عنها في أطوار القصيدة ، كما أن الزمن النحوي في القصيدة غاص في عمق التاريخ و ربط ما هو ماض بما هو حاضر و مستقبل و بهذا أعطى للقصيدة بعدا زمنيا حول كل الأزمان و هذه دلالة على التواصلية و الاستمرارية " [6].

فمثلا " شوارعها بلا أسماء" جملة اسمية دالة على الثبات و السكون و أيضا سوى هذه الصخور و في آخر القصيدة يختم بصيغة تحذيرية :حذار ...حذار (اسم فعل أمر) عن جوعي و من قضى فهي بنية تتضمن –تخويف المحتل و جاءت متجانسة معنى و مبنى – فقد بدأت القصيدة بفعل أمر " سجل " و انتهت بالتحذير .

فالقصيدة منذ مطلعها ضمت مراحل حياة مختزلة ، حياة عزلي نسجتها هذه الأبيات فشاعرنا يحب أرضه ووطنه ،وفخره و اعتزازه للعرب و العروبة ورفضه الصارم و القاطع للاحتلال الإسرائيلي ،و تصديه في قوله : و لكني ...إذا ما جعت آكل لحم مغتصبي ، فهي لغة التحدي و السخط و الانتفاضة .

ونجد أيضا ورود " قبل " التي تحمل الدلالة الزمنية التاريخية و الأسبقية الحقة في امتلاك الأرض (فلسطين) .

و مثال ذلك : قبل ميلاد الزمان رست
قبل تفتح الحقب
قبل تزعزع العشب

كما يستعمل الإحالات : (إحالة على السابق) و مثال ذلك "تاسعهم" سيأتي بعد صيف فالضمير "هم " يعود على أطفاله الثمانية و (إحالة على اللاحق) و مثال ذلك :... لكل أحفادي سوى هذه الصخور (هذه) اسم إشارة دال على الصخور.

- **المستوى الدلالي :**

احتوت القصيدة على حقول دلالية متعددة تماشت مع المقاطع الست للنص و نستطيع رصدها حسب الجدول الآتي :

حقل الإنسان	حقل القوة	حقل الطبيعة	حقل الضعف
الشعر	الغضب	الزيتون	أتوسل
الرأس	تخمش	الصخر	أصغر
العين	تغصب	محجر	
أطفال	سادة	الصيف	
الجد	ستوضح	الصخور	
	فورة الغضب	الأرض	
		الشمس	
		الأعواد	
		القصب	
		شوارع	
		كروم	
		الحقل	
		العشب	

كما نجد طغيان لحقل الطبيعة ، باعتبار هذه الأخيرة الملاذ الوحيد و الرحب و المتنفس و النفيس ، فهي الفضاء الذي لا حدود له ، حيث يجد حريته و يطلق العنان لكتابته الشعرية ،و لأحلامه الحالمة حيث بقول شاعرنا في هذا الصدد " الحلم لا ينتهي و لكن هناك حالات نمر بها يكون فيها الشعر مهددا إذا كيف نحتفظ بقدرتنا على الحلم ، صحيح أن الشعر حلم و أنا يعجبني قول أحد الشعراء الإيطاليين : " الشعر حلم يحلم في حضور العقل " فالشعر ملازما طبعا للهم الإنساني " [7]

كما نجد حقل وصف الإنسان (العربي) ،فقد رسم شاعرنا ملامح الإنسان العربي بشعره الفحمي و لون العين بني و عمله و كدحه و طلب رزقه و خبزه و لقمة العيش ، فهو تصوير للحالة الفقيرة و الشريفة للطبقة الكادحة مقابل عدم التكسب و التذلل و التوسل للأخر (الاحتلال الصهيوني)، فهي صور شعرية متضمنة في أساليب بلاغية (استعارة – تشبيهية –كتابة في قوله " آكل لحم مغتصبي " و غيرها من الصور كفي صلبة الصخر ."

الشعرية التي لازمت النص الشعري ، فالشاعر قدم لنا موقفه الصمودي المتحدي و الرافض للاحتلال ،و المناشدة بالتحرر و الاعتزاز بالعروبة ، فهي قصيدة هوية و انتماء و إثبات للشخصية قصيدة هوية و انتماء و إثبات للشخصية العربية ، بالرغم من بساطة ألفاظها إلا أنها مؤثرة في النفوس الواعية ، فكما قال الشاعر إلياس خوري " الشعراء اللغة به تغتسل من ذاكرتها ،و تضع ذاكرتها في آن معا ...كأن الكلمات التي يكتبها الشعراء تأتي من مكان سري في أعماقنا من تجربة تبحث عن لغتها و من كلمات تتجدد من ماء الشعر .

تجربة محمود درويش هي ابنة هذا الماء به غسلت لغتنا و جددتها أقامت من المأساة الفلسطينية جدارية شعرية كبرى تختزن في أعماقها هذا الغوص في ماء الشعر و ماء الحياة " [8] .

و بهذا يبقى شاعرنا مخلدا بكلماته في ذاكرة الشعوب العربية عامة و الفلسطينية خاصة .

الهوامش

1- بن جبار خلف :تأويل النص الشكسبيري في الخطاب السينمائي ،(د ط) ، (د ت) ، ص 05 .

2- عمر خرماش : فعل القراءة و إشكاليات التلقي ، مجلة علامات ، ع 10 ،ص 56 ،و ينظر أيضا : وردة حلاسي :إشكالية قراءة النص الأدبي الدرامي و آليات تأويله مسرحية " النار و النور" لصالح لمباركية أنموذجا ، أعمال الملتقى الدولي الخامس في الأدب و المنهج ، يومي 03/29 أفريل 2014 ، جامعة 08 ماي 1945 –قالمة – ص 209 -219 .

3- عمر محمد طالب : عزف على وتر النص الشعري ،دراسة في تحليل النصوص الأدبية الشعرية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، د ط ، 2000 ، ص 49 .

4- إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ط 1 ،1971 م ، ص 20 .

5- صلاح الدين صالح حسين : مدخل إلى علم الأصوات ، دراسة مقارنة ، عرض و نقد سعد ملوح ، عالم الكتب ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ص 238 .

6- عبد الحميد معيفي :البنية الأسلوبية لقصيدة منار الدين و عروته لابن هانئ – دراسة تحليلية – دار الآمال للطباعة – الوادي –الجزائر – ص 105 .

7- أنظر : سجل أنا عربي : تقديم د / رياض نعمان أغا و إعداد و التوثيق الدكتور علي القيم ، ص 10 ، 15

8- المرجع نفسه :